جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز – فاس

مسلك الجغرافيا
وحدة : جغرافية حوض البحر الأبيض المتوسط
الفصل الرابع
ذة : ليلـــــى مزور

جغرافية حوض البحر الأبيض المتوسط

تعني مفاهيم الحوض المتوسطي والعالم المتوسطي المناطق التي توجد حول البحر الأبيض المتوسط، وتغطي هذه المناطق (انظر خريطة رقم 1: دول حوض البحر الأبيض المتوسط):

- **أوروبا الجنوبية**: فرنسا، إسبانيا، جبل طارق (التراب البريطاني)، إمارة موناكو، إيطاليا، اليونان، قبرص، مالطا، سلوفينيا، كرواتيا، الجبل الأسود، ألبانيا والبوسنة والهرسك؛
- **الشرق الأوسط**: تركيا، سوريا، فلسطين ولبنان؛
- **شمال إفريقيا**: المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا ومصر.

خريطة رقم 1: الخريطة السياسية لحوض البحر الأبيض المتوسط

Source :Google Sites بتصرف2

يتميز البحر الأبيض المتوسط بمجموعة من الخصائص: منها أنه شاسع، إذ يمتد على 2.510.000 كم^2، وتبلغ مساحة البحر الأسود - الذي يعتبره عدد كبير من الباحثين جزءا منه- 44.800.000 كم^2، وينفتح البحر الأبيض المتوسط على نطاقات أخرى عبر مجموعة من المضايق

خريطة رقم 2: الخريطة الطبيعية لحوض البحر الأبيض المتوسط

Source : Google Sites

فهو ينفتح على المحيط الأطلسي من جهة الغرب عبر مضيق جبل طارق (عرضه 14 كم)، وينفتح من جهة الشرق على بحر مرمرة – الذي يعتبر امتدادا أو جزءا من البحر الأبيض المتوسط - عن طريق مضيق الداردانيل، ويتصل بالبحر الأسود عن طريق مضيق البوسفور، وبالبحر الأحمر عن طريق قناة السويس، وتشكل هذه المضايق أربعة عقد استراتيجية كبرى: فعلى سبيل المثال تمر 7000 سفينة كل سنة عبر مضيق جبل طارق، كما أن 30% من الحجم العالمي للنقل البحري التجاري و 28% من النقل العالمي البحري للبترول يتم كل سنة عبر البحر الأبيض المتوسط . هذا وتصب في البحر الأبيض المتوسط عدة وديان كبرى وهي الإبرو (شمال شرق إسبانيا)، والرون (شرق فرنسا)، والبو

(شمال إيطاليا)، والنيل بمصر ، وقد انخفضت مساهمة النيل في البحر منذ سنة 1964 بعد بناء السد العالي الذي يحجز كمية هامة من الماء. ورغم تعدد مصادر تزود البحر الأبيض المتوسط بالماء، فإن المحيط الأطلسي يعتبر المزود الرئيسي لماء البحر بحيث لولاه لنَقَص حجم البحر وتحول إلى مجموعة من البحيرات والمستنقعات الصغيرة المنعزلة، إذ تبلغ كمية التبخر في سطح البحر 115,4م^3/ الثانية، ويؤثر التبادل المائي مع المحيط الأطلسي على ملوحة مياه البحر[1] ، بحيث تبلغ درجة الملوحة 36‰ في غرب البحر، وترتفع إلى 39‰ في الشرق في سواحل فلسطين لبعدها عن المحيط الأطلسي. وحسب المنظمة الهيدروغرافية الدولية، ينقسم البحر الأبيض المتوسط إلى عدد من المسطحات المائية من الشرق إلى الغرب وهي:

- البحر الأسود شمال تركيا؛
- بحر مرمرة شمال تركيا؛
- البحر الإيجي بين اليونان وتركيا؛
- بحر كريت، شمال جزيرة كريت، في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط؛
- البحر الأدرياتيكي شرق إيطاليا؛
- البحر الأيوني غرب اليونان؛
- البحر التيراني جنوب غرب إيطاليا؛
- البحر الليكوري شمال غرب إيطاليا؛
- بحر البليار شرق إسبانيا؛
- بحر البوران بين المغرب وإسبانيا.

وهكذا إذا تم الحديث عن "البحر الأبيض المتوسط" ، فإن Jacques BETHEMONT يرى أنه من الأفضل الحديث عن البحار نظرا لأن المجال المتوسطي جد متجزئ عن طريق الأراضي والجزر التي تحيط به، وتقسمه، وتضفي عليه خصائصه

وتوازناته الكبرى[1]". وتخترق عدد كبير من الخلجان خط الساحل مكونة أشباه جزر كبرى ذات سواحل طويلة، وكمثال على ذلك شبه جزيرة إيطاليا التي تكاد تقسمه إلى قسمين لِتَكون حلقة اتصال بين الجزء الغربي والجزء الشرقي من البحر، وإذا كثرت الخلجان على طول خط الساحل، فإن ليبيا ومصر تتميزان بوجود مناطق ساحلية أقل تعرجا.

تحدث بالبحر الأبيض المتوسط هزات أرضية بشكل متكرر، خاصة في اليونان وغربي تركيا، وقد تسبب النشاط البركاني في ظهور الكثير من الجزر في البحر الأبيض المتوسط، ولا تزال بعض البراكين نشيطة (بُركان إتنا وبركان سترومبولي في صقلية، وفيزوف جنوب غرب إيطاليا)، وتعتبر صقلية أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط (25.708 كم^2)، أما الجزر الكبيرة الأخرى فهي سردينيا، قبرص، كورسيكا وكريت.

يتميز البحر الأبيض المتوسط بكونه منعزل - في معظم الأحيان- عن المجالات القارية التي تحيط به إما بواسطة جبال تطل عليه بشكل مباشر (الريف في المغرب) أو بواسطة هضاب صحراوية (ليبيا)، مما يفسر أهمية الفجاج والممرات. وعلى الرغم من امتداد هذا البحر على 4000 كم من الغرب إلى الشرق، فإنه يظل ضيقا: ذلك أن السواحل الأوروبية لا تفترق عن السواحل الإفريقية إلا بفارق أقصاه 800 كم.

لقد أطلقت على البحر الأبيض المتوسط خلال التاريخ تسميات عديدة: فقد سماه الرومان "بَحْرُنا"، وسماه إيزيدور دوق إشبيلية "البحر وسط الأراضي[2]"، أما بن خلدون فسمى هذا البحر الداخلي "بحر المسيحيين[3] " (بحر الروم) أو بحر المشرق (بحر الشام)، وترتبط هذه التسمية - التي أطلقها بن خلدون على هذا البحر- بتنوع هذا المجال، ولكنها تقتصر على التمييز بين الضفتين، أما الأتراك فَسَمَّوْه "البحر الأبيض" لكثرة زبد أمواجه، وهي التسمية التي تطلقها دول شمال إفريقيا على هذا البحر.

---

[1] - BETHEMONT J., 2008,Géographie de la Méditerranée: Du mythe unitaire à l'espace fragmenté, Armand Colin, Collection U, Paris, p9.

[2]- DE SEVILLE Isidor : né entre 560 et 570 à Carthagène, mort le 4 avril 636, est un religieux du VIIème siècle, évêque métropolitain d'hispalis (Séville).

[3]- ابن خلدون (732 هجرية - 808 ، أي 1332 - 1406م) مؤرخ ، وفيلسوف، وقاض، وأستاذ، وشاعر، وعالم اجتماع، ورجل سياسي عربي.

يشكل البحر الأبيض المتوسط عنصرا طبيعيا يفصل ولكن يربط في نفس الوقت بين ثلاث قارات وهي: إفريقيا، وآسيا، وأوروبا، وقد انتشرت على ضفافه حضارات عديدة (الحضارات المصرية، واليونانية، والفينيقية، والرومانية، والعربية الإسلامية، والغربية، ، وقد عملت هذه الحضارات على انصهار الشعوب، ولكن أيضا على خلق توترات وصدامات (حروب، احتلال و ....)، مما أدى إلى حدوث تنوع ثقافي.

يتضمن البحر الأبيض المتوسط 21 دولة وتراب على الضفة الشمالية والجنوبية والشرقية، وتمثل هذه المناطق لوحدها 8,8 مليون كم^2، وقد بلغ عدد سكانها سنة 2014 493.200.000 نسمة، ما يمثل 5,86% من ساكنة العالم، ويعود ذلك إلى الدينامية الديمغرافية لدول جنوب وشرق البحر الأبيض المتوسط التي عرفت زيادة إجمالية بمستوى 65% بين سنتي 1990 و 2014، بينما لا تتجاوز الزيادة 8% في الشمال، ذلك أنها اختفت فجأة في الدول الأوروبية المتقدمة للحوض خلال الربع الأخير من القرن العشرين، بل أصبحت الدول مضطرة إلى تدبير نتائج ركود عدد السكان والشيخوخة، بينما الدول الأخرى تواجه نموا قويا ووفرة الشباب. وعلى المستوى الضيق فإن المجال المتوسطي يضم 234 منطقة ساحلية تطل على البحر، وهي - بدون جدال- المستوى الأقرب إلى الوسط البيئي المتوسطي، ويمثل هذا المستوى 12% من مساحة المستوى الأول، و 33% من ساكنته الكلية.

لا تسمح التضاريس لوحدها بتحديد المنطقة المتوسطية التي تتميز بالتجزئ والاختلاف: فالمناطق الساحلية تهيمن عليها الجبال، خاصة في الضفة الشمالية، وهي تطل في معظم الأحيان بشكل مفاجئ على البحر، ويظهر أن بضعة وديان وهي: الرون، والنيل، والبُو، تشكل ممرات طبيعية حقيقية نحو المناطق الداخلية. أما المناخ والغطاء النباتي فيحددان مجالا بيومناخيا متوسطيا يتميز بصيف حار وجاف، وشتاء بارد ورطب(خريطة رقم 3: المجال البيومناخي المتوسطي):

خريطة رقم 3: المجال البيومناخي المتوسطي

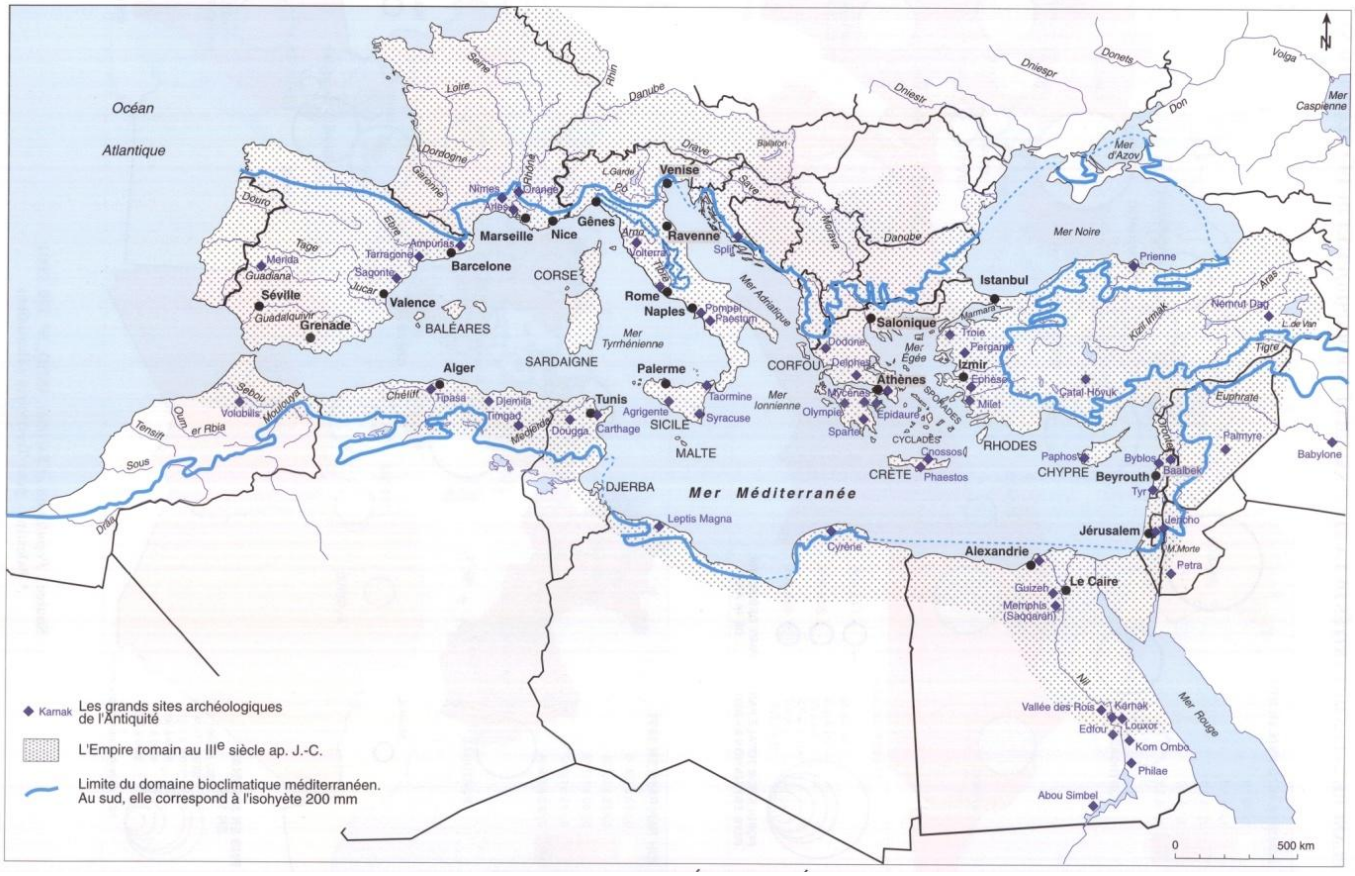

Source : JOANNON M.&TIRONE L.&MOROS. : Panorama cartographique de la Méditerranée[article]
Méditerranée /Année 2001/97/pp.60-105
Fait partie d'un numéro thématique :40 ans de géographie méditerranéenne.

وغطاء نباتي يتلاءم مع هذه الظروف ويتقاطع مع شجر الزيتون، وقد اقترح عالم النبات Charles FALHAULT تحديد هذا المجال " بالمنطقة حيث يمكن زراعة شجر الزيتون"، واعتبرCharles FALHAULT هذا الصنف من الشجر كحد للنطاق النباتي الجغرافي المتوسطي. إلا أن هذا التعريف البيومناخي للبحر الأبيض المتوسط هو غير مقنع، وذلك لوجود مناطق ذات مناخ صحراوي (مصر وليبيا)، ومناطق أخرى تنتمي إلى المناخ المعتدل حيث التساقطات وفيرة (جزء من شمال إيطاليا). تؤثر مختلف هذه المعطيات على الفلاحة، ويتجسد ذلك بوضوح في التكيف الصعب للفلاحين مع وجود فصلين (فصل بارد ورطب قد لا يتعدى ثلاثة أشهر، وفصل جاف وحار قد يدوم عشرة

أشهر)، من تم حضور بعض المنتوجات الزراعية كالقمح والتين، بالإضافة إلى الزيتون، وضرورة التحكم في الماء، خاصة وأنه سلعة نادرة.

تعرف الدول المتوسطية تزايدا مطردا في عدد الوحدات الحضرية، كما تشهد نموا حضريا كبيرا لدرجة أنه أصبح يشكل انشغالا كبيرا لجميع دول الحوض المتوسطي، إلا أن الإشكالية تطرح بشكل مختلف بين الضفة الشمالية والضفة الجنوبية والشرقية: فإذا كان التحضر القوي في الضفة الشمالية يؤدي إلى تزايد مسافة التنقلات بوسائل النقل وارتفاع حجم النفايات المنزلية، فإن الضفة الجنوبية والشرقية تعاني من إشكاليات عديدة كالبطالة، وتضاعف السكن غير اللائق، وضعف البنيات التحتية، والتوسع الحضري على حساب الأراضي الفلاحية ...إلخ.

إن التنوع الذي يطبع المجال المتوسطي هو الذي يفسر الظرفية الحالية لهذا المجال، بمعنى تقاسم المجال بين شعوب غنية وأخرى فقيرة، شعوب تعرف - كما سبق القول- نموا ديمغرافيا قويا وأخرى تعرف شيخوخة مقلقة، وتترجم هذه الاختلافات بالامتداد المجالي للمجموعات الأكثر دينامية اقتصاديا، وقد تم التعبير عن هذه الدينامية فيما قبل بانتشار الأمبريالية الأوروبية، وهي تترجم حاليا بحركات هجرية كبيرة ذات اتجاه جنوبي شمالي، ومبادلات أو حروب مفتوحة أو كامنة ما فتئت تعارض شعوبا متجاورة (المغرب- الجزائر؛ فلسطين – إسرائيل)، ويمكن أن نشير إلى:

- انخراط المجال المتوسطي في الحربين العالميتين؛
- عمليات تنقيل السكان(الإبادة الجماعية للأرمن)؛
- تفكك يوغوسلافيا السابقة إلى صربيا؛ وكرواتيا؛ وسلوفينيا؛ وألبانيا؛ ومقدونيا؛ والجبل الأسود والبوسنة والهرسك؛
- مسلسلات إنهاء الاستعمار، والمسألة الفلسطينية.

يمكن اقتراح معايير كثيرة لتحديد المجال المتوسطي دون أن يكون أي اقتراح مقنعا، ذلك أنه تطرح أيضا إشكالية الأخذ بعين الاعتبار المجالات الوطنية: فإذا كان بالإمكان اعتبار اليونان بكاملها بلدا متوسطيا، فإن الأمر يختلف بالنسبة لإيطاليا حيث "سهل البو" في الشمال له خصائص تشبه خصائص قدم الجبال الألبية (مناخ معتدل)، ويمكن إبداء نفس الملاحظة بالنسبة لدول المغرب العربي التي لها جزء صحراوي. أما فرنسا فهي متوسطية فقط في واجهة هامشية جنوبية مقارنة بمراكز قوة les centres d'implusion الاقتصاد الوطني.

إذا تم تجميع مختلف هذه المعطيات في صورة واحدة، يمكن أن نعرف البحر الأبيض المتوسط بكونه مجال التناقضات والاختلافات بامتياز، وهذه الأمور هي التي تعطي لهذه الدراسة أهمية، وأهمية متجددة، وإن لم تعد لهذا البحر نفس الأهمية التي كان يتمتع بها سابقا، بحيث كان يعتبر قلب العالم أو مركز العالم.

يعتبر البحر الأبيض المتوسط من بين المناطق الحساسة في العالم، والتي تجمع بين دول ذات مستوى نمو مختلف، وقد سعت هذه الدول – بعد استحضار مجموعة من النقط المشتركة، ومنها الجوار الجغرافي والتقارب الثقافي، وبعد بروز هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية- إلى خلق شراكة أورو متوسطية، وقد تجسد ذلك بعقد مؤتمر برشلونة الأورومتوسطي الذي اقترحته إسبانيا ونظمه الاتحاد الأوربي لتقوية العلاقات مع البلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وقد حددت لهذه الشراكة أهداف نذكر منها إحداث شراكة اقتصادية ومالية، وتأسيس تدريجي لمنطقة تبادل حر. وبعد ذلك، تم إنجاز - تحت راية الأمم المتحدة - تقرير المخطط الأزرق للبحر الأبيض المتوسط (2005) 3 يناير وقد اقترح الربط بين المسألة البيئية والتنمية من أجل وضع أو تحديد استراتيجيات منسجمة على مستوى المنطقة.

وضعت الشراكة الأورومتوسطية أسس ما أصبح يعرف بالاتحاد من أجل المتوسط (يوليوز 2008)، وبناء مؤسساته، وذلك من أجل تعزيز التكامل بين الشمال والجنوب في

المنطقة، ويركز هذا الاتحاد على تعزيز التنمية البشرية، وتشجيع التنمية المستدامة، وقد تم الإعلان عن إنشاء منطقة للتبادل الحر بحلول سنة 2010، وتعزيز الشراكة فيما يخص ميادين كثيرة ومن بينها:

- الحماية من الكوارث الطبيعية؛
- الطاقات البديلة، بتحويل الدول إلى بلدان تنتج هذه الطاقات؛
- برامج للدراسات العليا، وقد تجسدت بإقامة جامعة أورومتوسطية بفاس؛
- تشجيع المشاريع الصغيرة والمتوسطة ودعمها.

إلا أن هذه المبادرات تواجهها مجموعة من المعيقات نذكر منها ما ترتكبه إسرائيل في حق الفلسطينين، ورفض الوزراء العرب الجلوس حول مائدة يجلس فيها الإسرائليون، واستمرار إسرائيل في بناء مستوطنات في الضفة الشرقية، هذا إلى جانب غلبة الجانب الاقتصادي على الشراكات بينما كل شراكة ناجحة تتطلب انسجاما أيضا على المستوى السياسي، ويضاف إلى ذلك الوضع غير المريح في عدد من الدول المتوسطية كليبيا وسوريا والعراق ولبنان، والخلافات بين الدول (المغرب والجزائر)، وضعف التفاهم بين الدول العربية الخ.

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الخصائص الطبيعية لحوض البحر الأبيض المتوسط، وكذا التفاوتات الديمغرافية لدول الحوض، وتوضيح أسبابها

الفصل الأول: الإطار الجغرافي الطبيعي لحوض البحر الأبيض المتوسط

تدخلت في تشكيل الإطار الطبيعي لحوض البحر الأبيض المتوسط ظروف مختلفة.

1-1- مراحل تكوين البحر الأبيض المتوسط: ارتباط وثيق بباقي أجزاء الكرة الأرضية

ترتبط الظروف الطبيعية لحوض البحر الأبيض المتوسط ارتباطا وثيقا بباقي أجزاء الكرة الأرضية: فقد كان يابس الكرة الأرضية قبل حوالي 250 مليون سنة عبارة عن كتلة واحدة تسمى "بانجي"، وتوجد على عمق كاف لكي تشكل وسطا لزجا يطفو على سطح الأرض، وكانت "بانجي" تتكون من:

نظرية زحزحة القارات

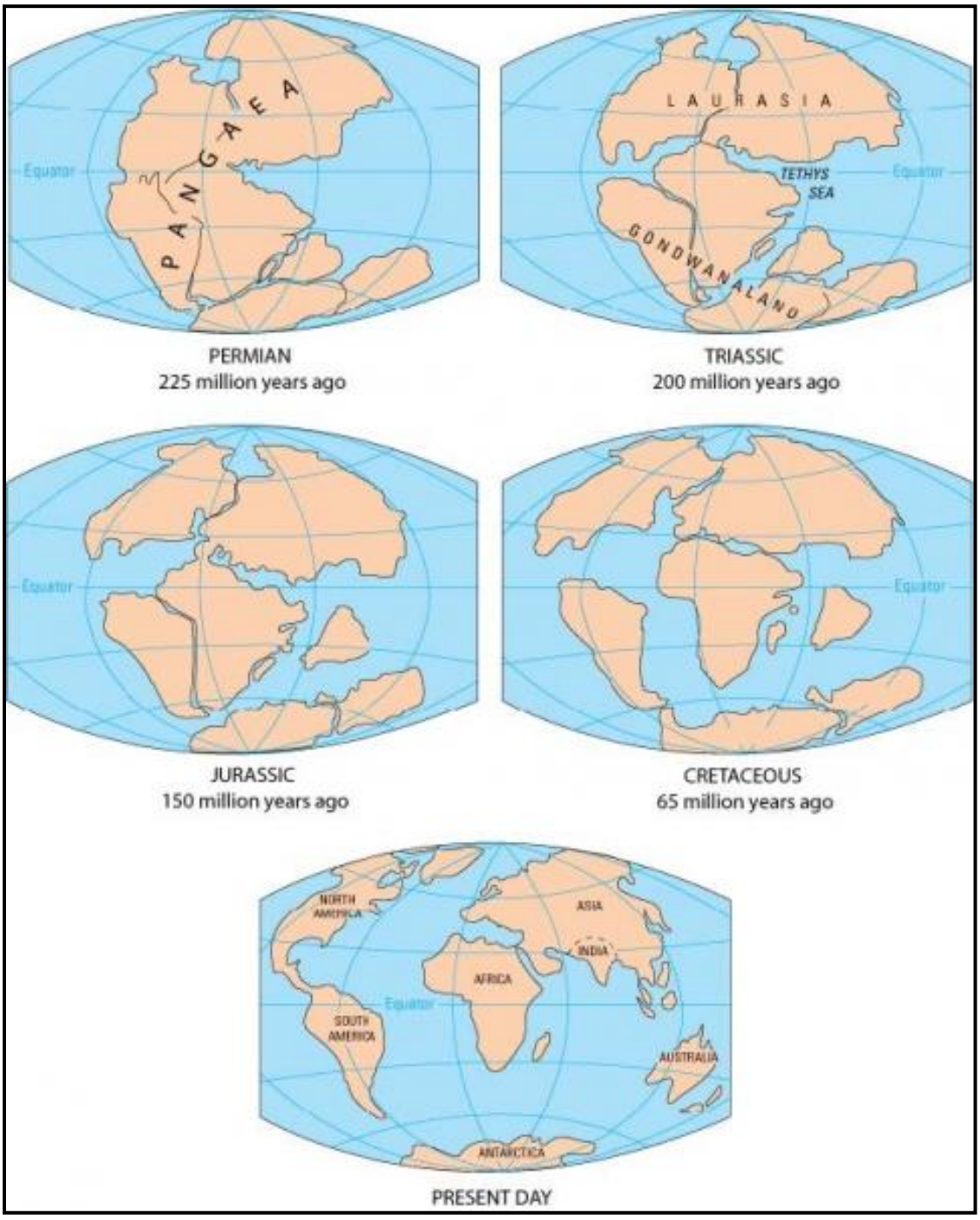

Source : https://images.app.goo.gl/vd5CWAqjZkZ6r7957

- "كندوانا"، وتشمل جزءا من إفريقيا، وشبه الجزيرة العربية، وأمريكا الجنوبية، وأستراليا، ومدغشقر، والقطب الجنوبي، وشبه الجزيرة الهندية؛
- أوراسيا وتضم كلا من آسيا، وأوروبا، وأمريكا الشمالية مع القطب؛

وكان يفصل" كندوانا " عن أوراسيا في الجزء الشرقي محيط تيتس، وتحت فعل قِوَى الطَّرْد المركزية la force centrifuge الناتجة عن دوران الأرض، تمزقت "بانجي" وأصبح كل عنصر من عناصرها يشكل درعا أو قارة ، "وبدأت هذه القارات بالزحف التدريجي نحو أماكنها الحالية (انظر الشكل الأخير)، ودارت إفريقيا أثناء الزحف بعكس عقارب الساعة، بينما دارت أوراسيا باتجاه عقارب الساعة، وقد فتحت حركة هذه القارات طريقا مائيا في أقصى الطرف الغربي للمحيط موصلة إياه بالمحيط الأطلسي قبل حوالي 65 مليون سنة، وأغلق دوران هاتين القارتين الطرف الشرقي لبحر "نيوتيتس"، وبذلك أخذ البحر الأبيض المتوسط شكله الحالي"[1]. يؤيد فَجْنير هذه النظرية التي تسمى بزحزحة القارات بالتشابه الكبير بين الحدود الخارجية للكتل القارية كما لو كانت قطعا لمجموعة واحدة، بالإضافة إلى وجود حفريات نباتية وحيوانية متشابهة في مناطق أصبحت جد متباعدة حاليا بفعل الزحزحة، ويقول فَجْنِير أن هذه الحركات تمت ببطء شديد وخلالها خلفت بعض القارات أجزاء منها: فقد انفصلت نيوزيلاندا عن أستراليا، وأدى الضغط إلى الأمام إلى اندفاع جبال الأنديز[2] في أمريكا الجنوبية، كما انفصلت شبه جزيرة الهند عن "كندوانا واتصلت بآسيا "، وظهر البحر الأحمر، وبدأت العديد من المعالم الطبيعية للمنطقة التي نحن بصدد دراستها تتشكل.

1-2- "نيوتيتس" أو البحر الأبيض المتوسط نتج عن ضغوط بين الدرع الإفريقي والدرع الأوراسي

[1] - https://m.marefa.org>....البحر الأبي

البحر الأبيض المتوسط - المعرفة

1- جبال الأنديز سلسلة جبلية تمتد على طول الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية، يقارب طولها 7100 كيلومتر، وعرضها 500 كيلومتر ، ومعدل ارتفاعها 4000 متر، تمتد السلسلة في سبع دول هي: الأرجنتين، والإكوادور، وبوليفيا، والبيرو، وتشيلي، وكولومبيا، وفنزويلا.

أدت ضغوط حدثت منذ خمسة ملايين من السنوات إلى انفتاح "نيوتيتس" أو ما أصبح يسمى بالبحر الأبيض المتوسط، وقد كان عبارة عن محيط ذي تركيبة صغيرة، وكان في البداية منفصلا عن المحيط الأطلسي وبه ماء قليل، وكان الحوض الشرقي والحوض الغربي من البحر منفصلين بشريط من الأرض ولا يشكلان سوى بحيرتين جد مالحتين، وظل هذا البحر لمدة طويلة حبيس أزمة الملح لقلة مياهه، وقد أخرجه منها فيضان كبير حدث مع انفتاح مضيق جبل طارق، إذ دخلت مياه كثيرة من المحيط الأطلسي وغمرت الجزء الغربي من البحر، لكن اعترضتها عتبة صقلية، ثم فجأة ارتمى الماء إلى الجهة الشرقية على شكل شلال بعلو 1000م، وقد ترك هذا الفيضان آثارا هامة: فقد كان هذا الشلال جد قوي ويحمل معه حجما هاما من الرواسب التي توضعت في الأسفل وتراكمت مشكلة توضعا رسوبيا كبيرا قريبا من جزيرة صقلية، ويرى فريق دولي من الباحثين في علم المحيطات بأن هذا الشلال ارتمى في البحر الأبيض المتوسط في هذا المكان[1].

غَيَّر انفتاح البحر الأبيض المتوسط على المحيط الأطلسي تركيبة الماء، خاصة في الجزء الغربي من البحر: فبعد أن كان معدل ملوحته جد مرتفع، أصبحت نسبة الملوحة أقل. ويقع بحر البوران في أقصى غرب البحر الأبيض المتوسط بين إسبانيا في الشمال، والجزائر والمغرب في الجنوب، ومضيق جبل طارق في الغرب، وتربطه بالمحيط الأطلسي تيارات سطحية تسري في اتجاه الشرق جالبة الماء من المحيط الأطلسي إلى البحر الأبيض المتوسط، وهناك تيارات عميقة تسير غربا حاملة مياه البحر الأكثر ملوحة إلى المحيط الأطلسي، وهي تتميز بكونها بطيئة مقارنة بالتيارات السطحية.

تسمح التيارات المائية- التي تتم على مستوى البحر الأبيض المتوسط- بتجديد مياهه.

لقد تسبب فتح قناة السويس في أول مرور للمياه المالحة بين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، ويتميز البحر الأحمر بكونه أعلى طبوغرافيا من شرق البحر الأبيض

[1]- University of Malte
https:// www.Futura-sciences.com/planete/vidéo/med.
VidéoIMéditerranée : le plus grand caraclysme depuis l'extinction des dinosaures
2 août à 19 :15

المتوسط، وبالتالي فإن القناة - التي توجد بها بحيرات شديدة الملوحة- تسكب مياه البحر الأحمر في البحر الأبيض المتوسط، وقد منعت هجرة كائنات البحر الأحمر إلى البحر المتوسط لعدة عقود. ولكن بعد التعادل التدريجي لملوحة البحيرات مع البحر الأحمر، أزيل الحاجز الذي منع هجرة هذه الكائنات، وبدأت النباتات والكائنات المهاجرة من البحر الأحمر في استعمار شرق البحر الأبيض المتوسط، وتسمى هذه الظاهرة بهجرة الكائنات البحرية، ويضاف إلى هذا الإكراه ما يتسبب فيه السد العالي من تراجع للمياه المتدفقة من النيل إلى البحر الأبيض المتوسط، إذ يؤدي ذلك إلى تفاقم مشكل ملوحة ماء الحوض الشرقي من البحر، مما يشكل خطرا على البيئة البحرية.

تتم عملية التجديد الكامل لماء البحر الأبيض المتوسط الشبه المنغلق[1] بشكل بطيء، إذ تتطلب 100 سنة، وقد أدى دخول المياه من المحيط الأطلسي إلى انتقال كائنات حية إلى البحر الأبيض المتوسط. وبما أن شمال المحيط الأطلسي هو أبرد بكثير وغني بالمواد الغذائية مقارنة بالبحر الأبيض المتوسط في جزئه الغربي، فقد كان على كائنات البحر الأبيض المتوسط أن تتأقلم مع ظروفه المختلفة بعدما مُلِئ بالماء.

2- ظاهرة الطفو والمعالم الجغرافية للحوض المتوسطي

تعرضت "كندوانا" و" أوراسيا" خلال الزمن الثاني لغمر بحري كبير امتد حتى الصحراء الكبرى والصحراء العربية ب"كندوانا"، والمناطق التي تشغلها السهول والجبال بالمنطقة الأوراسية المطلة حاليا على البحر المتوسط من الشمال، بحيث أن معظم أراضي المغرب العربي ومعظم الجزء الأوراسي المطل على البحر الأبيض المتوسط حاليا كان تحت مياه البحر، أي أنها كانت تُكَوِّنُ ما يسمى بحفر جيولوجية. أما في الزمن الجيولوجي الثالث فحدثت ضغوط كبيرة بين الدرعين الإفريقي والأوراسي أدت إلى ظهور عدد كبير من المعالم الطبيعية بحوض البحر الأبيض المتوسط، ذلك أن هذا الزمن تميز بحدوث حركات تِكْتُونِيَة قوية أدت إلى ظهور الجبال المرتفعة: فالرسوبات البحرية التي تراكمت في

[1]- تتم عملية تجديد مياه البحر الأبيض المتوسط عبر مضيق جبل طارق ومضيق الداردانيل.

المنخفض الذي كان يفصلهما تعرضت للضغط والالتواء، مما أدى إلى ظهور جبال الألب المرتفعة (انظر خريطة رقم 3: توزيع التضاريس بحوض البحر الأبيض المتوسط)، وتشهد الرواسب البحرية والمرجانية على قمم هذه الجبال بأنها كانت رواسب بحر قديم أدى الضغط عليها إلى التوائها وارتفاعها مكونة تلك السلاسل الجبلية الشاهقة، وإلى جانب جبال الألب ظهرت جبال الريف بالمغرب، والتل شمال الجزائر، والظَّهْر التونسي(في الوسط الغربي لتونس، بها قمة الشعانبي 1544م) ، كما ظهر الجبل الأخضر شمال شرق ليبيا، وجبال لبنان وسوريا وفلسطين، وظهرت جبال الطوروس بتركيا، وتعتبر جبال البيندوس Les Pinde أهم سلسلة جبلية في اليونان، ويبلغ ارتفاع أعلى قممها 2636م، وهي امتداد لجبال الألب وتنحدر جنوبا لتصل في النهاية إلى جزيرة كريت. أما اليابسة، فشهدت خلال الزمن الجيولوجي الثالث عدة حركات انكسارية أدت إلى ظهور البحر الميت، وبحيرة طبرية، والبحر الأحمر، وقد تسبب تصلب كتلة سيناء في مصر في ظهور خليج العقبة، وخليج السويس، وكان البحر الأحمر في البداية متصلا بالبحر الأبيض المتوسط، إلا أن حركات تكتونية أدت إلى انفصاله عنه فيما بعد، الشيء الذي فرض فتح قناة السويس، وقد بدأ العمل بها في 17 نونبر 1869، وقامت مصر بتأميمها في 26 يوليوز 1956.

وخلال الزمن الجيولوجي الرابع استمرت الحركات الالتوائية التي نشطت في الزمن الثالث، نفس الشيء بالنسبة للانكسارات، وظهرت مجموعة من المعالم الحالية للدول مع ظهور السهول الساحلية المتوسطية، وسهل الغرب بالمغرب، كما تم ملء عدد كبير من الأحواض وأصبحت عبارة عن سهول.

وهكذا تعتبر الحركات الألبية- وهي أحدث الحركات الالتوائية، نشطت في الزمن الثالث- المسؤولة عن نسبة كبيرة من التضاريس في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد أدت إلى وجود سلاسل على هيأة أقواس تمتد من الغرب إلى الشرق.

3- الوحدات التضاريسية الكبرى في حوض البحر الأبيض المتوسط

تعرف تضاريس حوض البحر الأبيض المتوسط اختلافا كبيرا من حيث الشكل والبنية، وهي تقسم إلى المجموعات التالية:

3-1- الجبـــال

تعتبر الجبال من خاصيات حوض البحر الأبيض المتوسط، خاصة الضفة الشمالية منه، وهي تختلف من حيث الشكل والارتفاع، وتتميز بحداثتها، ونميز من بين الجبال:

3-1- 1- جبال الألب

سلسلة جبلية تمتد وسط أوربا من سلوفينيا شرقا إلى إيطاليا وسويسرا وفرنسا غربا(نظر الخريطة رقم 3: توزيع التضاريس بحوض البحر الأبيض المتوسط)، وهي سلسلة متقطعة تتخذ شكل هلال أو قوس، وتمتد على مسافة 1200 كم ، وتتميز بكثرة القمم العالية، إذ نجد بها 82 قمة يتعدى علوها 4000م، ويعتبر الجبل الأبيض بين فرنسا وإيطاليا أعلى قمة بها (4809م)، وتنقسم جبال الألب إلى قسمين:

- **قسم شرقي**: يمتد في النمسا وألمانيا وسلوفينيا و...؛
- **قسم غربي**: يمتد في إيطاليا وفرنسا وسويسرا، وهو أكثر ارتفاعا لكن أقصر مسافة من القسم الشرقي، وتوجد به أعلى قمة جبلية وهي الجبل الأبيض(4810م)، وقد استوطن الإنسان هذا القسم منذ القديم بحيث تم العثور على آثار قديمة قرب بحيرة أنسي في فرنسا.

يعيش في جبال الألب نحو 14 مليون نسمة، ويرتكز اقتصادها على الاكتفاء الذاتي، وهو يقوم على نشاط زراعي تقليدي على مساحة لا تتعدى على العموم 10% من المساحة الكلية ويتم فيها إنتاج الحبوب، والخضر التي تزرع على علو 2000م، والكروم التي تزرع

على علو 1500م. إلا أن الإنتاج بالكاد يكفي لسد الحاجات، ولذلك يمارس السكان الرعي كنشاط تكميلي، وبعض الصناعات التقليدية (صناعة المواد الغذائية، صناعة الأثواب والأثاث و....)، وقد مكن فتح الطريق وإقامة الأنفاق (من قبيل نفق الجبل الأبيض على الحدود الفرنسية الإيطالية، ونفق فريجوس Frégus بين فرنسا وإيطاليا) من فك عزلة جبال الألب، ذلك أن الفجاج غير كافية لتلبية الحاجات. ويزور جبال الألب سنويا نحو 120مليون نسمة، ذلك أن السياحة أصبحت تعد أول نشاط اقتصادي بها، وقد تضاعف عدد المحطات السياحية بهذه الجبال، إلا أن هذا النشاط يظل هشا أمام التقلبات الاقتصادية، ومنافسة الوجهات الأخرى، والتقلبات المناخية، كما أن الساكنة المحلية لا تستفيد من هذا النشاط. ولمواجهة المنافسة التي فرضها الاقتصاد العصري، اتجهت ساكنة جبال الألب إلى نهج زراعة متخصصة (كروم، ذرة، وتبغ في الأودية)، أما تربية الماشية فتركزت قرب القرى لمد التعاونيات بالحليب.

أمام الصعوبات الكثيرة التي تعانيها ساكنة الجبال، قررت سويسرا والنمسا مساعدة ودعم الفلاحة الجبلية حتى تواجه الإكراهات المتعددة التي تواجهها.

وعيا منها بأهمية المحافظة على الوسط البيئي، عملت الدول التي تخترقها جبال الألب على خلق منتزهات وطنية بهدف إدماج السياحة في الاقتصاد المحلي، وقد دخل الاتفاق حول جبال الألب الموقع سنة 1995 بين ألمانيا، والنمسا، وإيطاليا، وفرنسا، وموناكو، وليشتنشتاين[1]، وسلوفينيا، وسويسرا، حيز التنفيذ سنة 2003، وهو يهدف إلى حماية تراث هذه الكتلة الجبلية، ويتعلق الأمر بحسن تدبير المشاهد الفلاحية، وإشراك الساكنة المحلية في اتخاذ القرارات بهدف الحفاظ على الاقتصاد والبيئة.

3-1- 2- جبال البيريني أو البرانس

[1]- ليشتنشتلن: دولة غير ساحلية تقه في جبال الألب في أوربا الوسطى، تحدها سويسرا غربا وجنوبا، والنمسا في الشرق، تزيد مساحتها، تحدها سويسرا غربا وجنوبا، والنمسا في الشرق، تزيد مساحتها قليلا عن 160 كم2، وعدد سكانها 37.623 نسمة وعاصمتها هي فادوز بها ثاني أعلى BNB/H في العالم ولها ادنى دين خارجي وثاني ادنى معدل للبطالة في العالم 1.5% هي موناكو.

سلسة جبلية تفصل شبه الجزيرة الإيبيرية[1] عن باقي أوروبا، وهي تمتد على **55.374 كم بين إسبانيا وفرنسا**، وترتفع إلى **3404 م** عند قمة "**أنيتو** "، وتعتبر مدينة بيربينيان بفرنسا، ومدينة جيرونا بإسبانيا من أشهر المدن بهذه السلسلة، وجبال البرانس هي أقدم من جبال الألب، وتنتشر بها مياه معدنية ساخنة، خاصة في الأعالي، وتحتوي على معادن الحديد والرصاص والفضة، كما توجد بها غابات الصنوبر والبلوط، وهي تتميز بتعقدها وصعوبة منحدراتها، مما لا يساعد التجارة البرية، ولذلك اضطرت فرنسا وإسبانيا لعدة سنوات إلى جعل معظم المبادلات التجارية بينهما تتم على المنحدر الجنوبي من البرانس الشرقية.

3-1-3- جبال الأبنين بإيطاليا

سلسلة جبلية بإيطاليا تمتد على أكثر من 1600 كم من الشمال إلى الجنوب على شكل قوس، وتختفي بعد ذلك لتظهر من جديد في شمال جزيرة صقلية. تشكل هذه السلسلة العمود الفقري الجبلي لشبه جزيرة إيطاليا، وقد ظهرت على إثر حركات تكتونية حديثة نسبيا مقارنة مع الحركات التي كونت جبال الألب، وهي تحتل مساحة واسعة في واحدة من أكثر الأقاليم اضطرابا، والتي شهدت حركات وهزات أرضية عنيفة وانفجارات بركانية (براكين إتنا، وفيزوف، وسترومبولي)، وهي لا تزال مهددة بذلك.

3-1- 4- جبال الطوروس بتركيا

سلسلة جبلية تقع جنوب شرق هضبة الأناضول بتركيا، وتشكل الحد الفاصل بين سوريا وتركيا، يتراوح ارتفاع هذه الجبال بين 3000 و 3700م، أما عرضها فيبلغ 150 كم، وتنحدر جبال الطوروس بشكل حاد نحو مياه البحر الأبيض المتوسط. وجبال الطوروس هي جزء من حزام جبال الألب الكبير الذي يمتد من المحيط الأطلسي إلى الهملايا، ويعتبر واد دجلة وواد الفرات من أهم المصادر المائية بالمنطقة، وقد أُنجز بهذه

1- توجد بشبه جزيرة إيبريا دولتان وهما إسبانيا والبرتغال.

الجبال سد كاراكايا، ويوجد على نهر الفرات، وقد تمت إعادة توطين 300 ألف نسمة بسبب بناء هذا السد.

3-1- 5- سلسلة جبال الريف بالمغرب

تمتد **سلسلة جبال الريف** من مضيق جبل طارق غربا إلى واد ملوية شرقا، وهي تقع على هامش البحر الأبيض المتوسط، وقد تكونت في نفس الزمن الذي برزت فيه جبال الألب في أوروبا.

تشكل سلسلة الريف نظاما خاصا: فهي قليلة الارتفاع نسبيا، ويشكل جبل تدغين (2456 م) أعلى قمة في هذه السلسلة التي يقل ارتفاعها في اتجاه الشرق. وإلى الجنوب من هذه السلسلة، تمتد تلال مقدمة الريف، وهي ذات تكوينات طينية، كما أنها متقطعة على هيأة عدد كبير من التلال القليلة الارتفاع، وتحد من الجنوب بالتلال الكلسية لزرهون وزلاغ.

يشكل الريف - بفعل امتداده من الغرب إلى الشرق على هامش البحر- عائقا كبيرا يعزل الساحل المتوسطي عن بقية المغرب، ويسهم بقوة في توجيه المغرب نحو المحيط الأطلسي.

3-2- الهضاب بحوض البحر الأبيض المتوسط

تمتد الهضاب على مساحات قليلة بالضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط مقارنة بالضفة الجنوبية والشرقية، ونميز ضمن هذه الهضاب:

3-2-1-هضبة الأناضول بتركيا

تنتمي إلى شبه جزيرة الأناضول التي تنحصر بين البحر الأسود شمالا، والبحر الأبيض المتوسط جنوبا، وقد كانت شبه جزيرة الأناضول تتكون من مجموعة من الجزر القديمة التي تنتمي لبحر "نيوتيتس"، وتعرضت للضغط أثناء الحركات التكتونية التي أدت إلى ظهور جبال الألب والهملايا شمال الهند، فَالْتَوَتْ الرسوبات البحرية وارتفعت، مما أدى

إلى ظهور جبال الطوروس وهضبة وسطى- هضبة الأناضول- يتراوح ارتفاعها بين 1000 و 1500م، تحيط بها سلاسل جبلية أعلى منها (جبال البنطس في الشمال، وجبال الطوروس في الجنوب)، وتخترق هذه المجموعة براكين كثيرة وانكسارات عديدة لا تزال نشيطة، مما يجعل الأناضول أرضا زلزالية. هذا وقد تعرض وسط الهضبة أثناء عمليات الضغط لتصدع أدى إلى ظهور مناطق منبسطة "سهول" ومنخفضات تشغلها بحيرات، وهضبة الأناضول أكثر الأقاليم التركية جفافا وأفقرها مياها لأنها مغلقة ومحاطة بشكل شبه كامل بالجبال، ويزداد الجفاف في اتجاه المركز.

3-2-2- هضبة إفريقيا الشمالية

تمتد هضبة **إفريقيا الشمالية** من مصر إلى المغرب، وتطل مباشرة على البحر الأبيض المتوسط في ليبيا ومصر، وهي تتميز بارتفاعها الضعيف نسبيا، وتتضمن بعض الأحواض كحوض النيل، كما تتضمن انحدارات قد تكون تدريجية، كما هو الحال في شمال مصر ووسط ليبيا في خليج سرت، وتوجد بهذه الهضبة منخفضات وعدة واحات نذكر منها منخفض القطارة، وواحات الداخلة والخارجة والفرافرة وسيوة شمال غرب مصر، كما تتخللها كتبان رملية.

3-2-3- هضبة بادية الشام

تُحَدُّ هضبة بادية الشام بمرتفعات الطوروس التركية في الشمال، وصحراء النفوذ بالسعودية في الجنوب، وسهول دجلة والفرات شرقا، ومنحدرات جبال الشام المطلة على البحر الأبيض المتوسط من الغرب، يبلغ متوسط ارتفاعها 600م، وهي تنحدر من الغرب إلى الشرق وتدخل ضمن حدود سوريا والعراق، والأردن، ويتخلل هذه الهضبة جبل عبد العزيز(920 متر)، وجبل الدروز (1234م) في سوريا، وبها بعض المنخفضات كحوض دمشق، وبعض الوديان شبه الجافة.

3-3- السهول بحوض البحر الأبيض المتوسط

يتسبب قرب التضاريس المرتفعة من السواحل في ضيق السهول المطلة على البحر الأبيض المتوسط، خاصة في الضفاف الشمالية والشرقية والجنوبية الغربية (المغرب، والجزائر وتونس (انظر الخريطة رقم 3: توزيع التضاريس بحوض البحر الأبيض المتوسط)، وقد يطل الجبل مباشرة على البحر جاعلا المواصلات صعبة إن لم نقل مستحيلة أحيانا في بعض الشواطئ، و من بين السهول المتوسطية نذكر:

3-3-1- سهل البُو في إيطاليا

يوافق سهل البو الحوض الهيدروغرافي لواد البـــو الذي يقطع إيطاليا في الشمال من الغرب إلى الشرق، ويمتد سهل البــو على 33.5% من التراب الإيطالي على شكل مثلث يشغل 4600 كم^2، وقد تشكل نتيجة توضع وتراكم الحمولة الفيضية التي تحملها المجاري المائية من الجبال، وينقل واد البـــو أكثر من 10.300م^3 من الماء/ الثانية عند نزوله إلى الدلتا (380كم^2) على البحر الأدرياتيكي، وتتقدم الدلتا كل سنة نحو البحر الأدرياتيكي، إلا أن هذه العملية أصبحت تتأثر بوجود السدود التي تحتفظ بطمي الوديان.

3-3-2- السهول الساحلية بتونس ومصر

ساعد اتساع الشريط الساحلي شرق تونس، وكذا انتظام خط هذا الساحل على وجود مجال سهلي، وبالتالي تركز السكان والأنشطة الاقتصادية، نفس الشيء بالنسبة لمصر حيث ساهم واد النيل في تكوين سهل منبسط وخصب، وقد تكون من الغرين الذي جلبه النيل من الجنوب، ويتسع السهل في الشمال على شكل دلتا، وتتميز تربة السهل المصري بخصوبتها لأنها تنقل من هضبة إثيوبيا البركانية، ومعروف أن التربة البركانية تتوفر على مواد عضوية لتغذية النبات، إلا أنه يلاحظ حاليا أن خصوبة السهل تتراجع باستمرار، كما أن الدلتا لم تعد تتقدم نحو البحر وبدأت تفقد خصوبتها بفعل احتجاز السد العالي للغرين الذي يحمله مجرى النيل.

3-3-3- سهل متيدجة بضاحية الجزائر العاصمة

متيدجة سهل جزائري يمتد على 100 كم ويطل على البحر الأبيض المتوسط، ويبلغ متوسط ارتفاعه 50م، وهو ينحدر بشكل ضعيف نحو البحر.

ينقسم سهل متيدجة إلى قسمين: متيدجة الشرقية، ومتيدجة الغربية، وتستفيد تربة السهل من مناخ معتدل متوسطي وأمطار كافية، ومتيدجة سهل فلاحي هام يخصص لإنتاج الحوامض في جزئه الشرقي، والكروم في جزئه الغربي، وتشغل عدة تجمعات حضرية هوامش هذا السهل ومنها الجزائر العاصمة، وبليدة(جنوب غرب الجزائر العاصمة)، وبومرداس (تنتمي لمنطقة القبايل شرق الجزائر العاصمة)، وقد ظهرت معظم المراكز الحضرية الموجودة بهامش هذا السهل أثناء الاستعمار الفرنسي من أجل تدبير الاستغلاليات الفلاحية وضمان الخدمات، ويعرف السهل حاليا امتدادا حضريا كبيرا على حساب أراضي فلاحية ذات جودة عالية.

نجد - إلى جانب السهول الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط،- السهول الموجودة في بطون الأودية الجبلية، وهي ذات امتداد محدود، وتوجد في مختلف الجبال المطلة على البحر الأبيض المتوسط.

الفصل الثاني: ديناميات ديمغرافية جد متعارضة

أثارت المسألة الديمغرافية وتثير اهتمام عدد كبير من الباحثين، خاصة علماء الديمغرافيا والاجتماع والاقتصاد، وذلك للتفاعل والترابط الكبير بين القضايا الديمغرافية وبقية القضايا الأخرى، اقتصادية كانت أو اجتماعية أو سياسية، وتشكل المسألة الديمغرافية

موضوع الساعة للتفاوتات التي تعرفها بعض المناطق في العالم، سيما حوض البحر الأبيض المتوسط، ذلك أن الدول الأوروبية المتوسطية أصبحت مكرهة على تدبير نتائج ركود الأعداد والتقدم في السن بينما بعض الدول الأخرى تواجه إشكالية زيادة الأعداد ووفرة الشباب.

تعتبر الدينامية الديمغرافية مظهرا أساسيا للوضعية العامة في المجال المتوسطي: فقد تعدت الساكنة الكلية ب 22 دولة وتراب بحوض البحر الأبيض المتوسط 503.300.000 نسمة سنة 2016 (أي 7% من ساكنة العالم)، وقد كان العدد 285.000.000 نسمة سنة 1970، وهذا يعني أن الزيادة كانت بمستوى 218.300.000 نسمة في ظرف 46 سنة، وحسب التوقعات الديمغرافية الأخيرة التي أنجزت للمخطط الأزرق لسنة 2025، فإن عدد سكان دول حوض البحر المتوسط سيبلغ 523.700.000 نسمة، وهذا يعني تراجعا واضحا بحيث لن تسجل سوى 96,7 مليون إضافية.

1- توزيع السكان حسب الحجم المطلق

يلاحظ تنوع كبير على مستوى الحجم المطلق:

جدول رقم 1: السكان والكثافة السكانية في دول حوض البحر الأبيض

البلـــد	العـــاصمة	عدد السكان	المساحة بِـــ كم^2	الكثافة السكانية

أوروبا	**199.094.348**	**1.754.026**	**113.5**	
فرنسا	**باريس**	67.190.000	643.801	104.3
إيطاليا	**رومـأ**	60.391.000	301.338	200.4
إسبانيا	**مدريد**	46.600.000	505.990	92.09
اليونان	**أثيـنـا**	10.738.000	131.957	81.37
البوسنة والهرسك	**سـراييفـو**	3.856.000	51.197	75.31
ألبانيا	**تـيرانا**	3.047.984	28.748	106.02
سلوفينيا	**لـيوبليـانـا**	1.972.126	20.273	97.27
مالطا	**فـالـيتـا**	429.344	316	1358.68
كرواتيا	**زغـرب**	4.225.316	56.594	74.66
الجبل الأسود	**بودغوريستا**	644.578	13.812	46.66
آسيا الغربية	**111.922.914**	**994.665**	**112.52**	
قبرص	**نـيقـوسيـا**	1.189.197	9.251	128.6
فلسطين	**القـدس**	4.976.684	6.220	800.1
لبنان	**بيـروت**	6.229.794	10.452	596.03
سوريا	**دمشـق**	18.270.000	185.180	98.6
تركيا	**أنـقـرة**	81.257.239	783.562	103.7
إفريقيا الشمالية	**192.261.119**	**6.017.460**	**31.95**	
المغرب	**الربـاط**	35.986.655	710.850	50.62
الجزائر	**الجـزائـر**	41.320.000	2.382.000	17.34
تونس	**تـونـس**	11.134.588	163.610	68.05
ليبيا	**طـرابلس**	6.375.000	1.760.000	3.6
مصر	**القـاهرة**	97.444.876	1.001.000	97.34
المجموع	**503.278.381**	**8.766.151**	**57.41**	

يتميز حوض البحر الأبيض المتوسط بوجود دولتين صغيرتين (مالطا والجبل الأسود بين 400.000 و 645.000 نسمة)، و 10 دول بين 1 مليون و 12 مليون نسمة، وثلاثة دول بين 34 و 47 م نسمة (المغرب، الجزائر، وإسبانيا) وتعتبر إيطاليا وفرنسا وتركيا ومصر الدول الأكثر سكانا بحيث تمثل لوحدها 60.8% من الساكنة الكلية للحوض، ومن

المرتقب باعتبار الديناميات الوطنية للنمو الديمغرافي- أن تصبح الضفة الجنوبية أكثر سكانا.

2- كثافات جد متنوعة

تتميز الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط بمساحات وكثافات جد متنوعة (جدول رقم1: السكان والكثافة السكانية في دول حوض البحر الأبيض المتوسط).

تختلف مساحات الدول بشكل كبير، إذ تتراوح بين 316 كم^2 في مالطا و 2.382.000 كم^2 في الجزائر، ونجد ثلاثة دول تتراوح مساحتها بين 640.000 كم^2 و 784.000 كم^2 (فرنسا، المغرب وتركيا)، ودولتان تمتدان على مساحة تتراوح بين مليون ومليون و 760.000 كم^2(مصر وليبيا)، ولكن تشغل الصحراء والسهوب في عدة بلدان (مصر، ليبيا، الجزائر، المغرب) مجالات واسعة.

تعتبر الضفة الجنوبية لأوروبا بحوالي 200,3 مليون نسمة الأكثر تعميرا، وتتبعها الضفة الشمالية الإفريقية ب 192,3 مليون نسمة، ثم الضفة الغربية لآسيا ب 10.733.757 نسمة حسب إحصائيات 2016-2017.

تختلف الكثافات السكانية في دول حوض البحر الأبيض المتوسط بشكل كبير، فهي تتراوح بين 3 و 51 نسمة/ كم^2 في ليبيا والجزائر والمغرب لامتداد هذه الدول على مساحات صحراوية واسعة، وتصل إلى 200 نسمة/ كم^2 في إيطاليا، سيما في سهل البُو وملحقاته في الشمال، وتتعدى 500 نسمة/ كم^2 في لبنان - البلد الصغير الذي عوض النقص الحاصل في السكان- بفعل هجرة قديمة إلى الخارج وهجرة حديثة على إثر الحرب الأهلية- باستقبال عدد كبير من الفلسطينيين والسوريين، وتبلغ الكثافة 800 نسمة/كم^2 في فلسطين، بل تعدت هذا الرقم في قطاع غزة.

تُخفي هذه الكثافات الوطنية تفاوتات كبيرة كما هو الحال في المناطق الساحلية حيث تتركز معظم المدن (أثينا، إستامبول، مارسيليا، برشلونة، نابولي، طرابلس وتونس العاصمة. ويتقوى النزوع نحو ارتفاع الكثافات تحت تأثير التغيرات الفصلية السياحية، خاصة على الضفاف الشمالية للبحر الأبيض المتوسط ومنها التجمع الحضري السياحي لِلاكُوت دازور La Côte d'Azur جنوب شرق فرنسا حيث تتعدى الكثافات 300 نسمة / كم^2. أما دلتا النيل فتسجل كثافة قروية تعتبر من أعلى الكثافات في العالم (760 نسمة/ كم^2)[1]، نفس الملاحظة بالنسبة لقطاع غزة حيث تناهز 3600 نسمة/كم^2 .

تقدر الكثافة على السواحل بِـ 96 نسمة /كم^2: لقد سمح التركز السكاني على السواحل بانتقال عدد السكان من 95 مليون نسمة سنة 1979 إلى 143مليون نسمة سنة 2000، ويمكن أن تبلغ 174مليون نسمة سنة 2025. وإذا كانت الضفة الأوروبية أكثر تعميرا فإن المجال الساحلي في الجنوب يتركز به تقريبا نفس عدد السكان.

تمتد الصحراء على مساحة هامة من الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وهي تطل مباشرة على البحر في ليبيا، وتقع على بعد 400 كم من الساحل الجزائري، وتطل على الساحل الجنوبي من المغرب، وعلى الضفة الشمالية من حوض البحر المتوسط فإن نسبة كبيرة من ساكنة إسبانيا، وخاصة فرنسا، جد بعيدة عن البحر الأبيض المتوسط، وقد تكون بعض العوامل التاريخية والبشرية حاسمة، وهي تشرح بعض التركزات غير العادية كما هو الحال في الريف.

تختلف الكثافات الحقيقية الزراعية عن الكثافات الخام[2]، ويتم حسابها بقسمة عدد السكان على المساحة الصالحة للزراعة والمزروعة بشكل دائم. وعلى مستوى دول الحوض، فإنها ترتفع بشكل صاروخي في بعض الحالات: ففي الجزائر سننتقل من 13

[1]-FRANCHETTE S., 1997, Le Delta du Nil. Densités et population et urbanisation des campagnes. Centre d'Etudes et de Recherches sur l'Urbanisation du Monde Arabe, URBAMA UMR 65592 du CNRS, Université de Tours, Institut Français de Recherche Scientifique pour le Développement en Coopération ORSTOM, Paris, Fascicule de Recherche n° 32, Tours, p. 3.

[2]- نحصل على الكثافة الخام بقسمة عدد السكان على المساحة العامة للبلد.

نسمة/ كم^2 إلى 372 نسمة/ كم^2 ، وفي تركيا ستنتقل من 103.7 نسمة/ كم^2 إلى 266 نسمة / كم^2 ، ولكن هناك اختلاف كبير جدا فيما يخص مصر حيث تتعدى 2000 نسمة/كم^2 عوض 97.34 نسمة/ كم^2 ككثافة عامة[1].

3- نمو ديمغرافي جد متفاوت

تختلف الدينامية الديمغرافية في حوض البحر الأبيض المتوسط من دولة لأخرى.

3-1- الدول ذات النمو القوي

[1] - Dans la chronique de 2004 portant sur les 50 pays de l'Afrique Sub Saharienne(TABUTIN et SCHOUMAKER, 2004), seules des îles comme la Réunion, Maurice ou le Cap Vert avaient des valeurs comparables.

تسجل فلسطين، وبالأخص قطاع غزة، نموا ديمغرافيا قياسيا عالميا (2.82%).

جدول رقم 2: معطيات ديمغرافية عن دول حوض البحر الأبيض المتوسط

أوروبا	عدد السكان	الولادات ‰	نسبة الوفيات ‰	نسبة الزيادة الطبيعية%
فرنسا	67.190.000	11.5	9.1	0.3
إيطاليا	60.391.000	8.6	10.4	-0.16
إسبانيا	46.600.000	9.4	9.1	0.27
اليونان	10.738.000	8.4	11.3	-0.14
البوسنة والهرسك	3.856.000	8.8	11.16	0.16
ألبانيا	3.047.984	11.00	7.40	-0.22
سلوفينيا	1.972.126	9.80	9.90	0.82
مالطا	429.344	10.10	7.20	1.3
كرواتيا	4.225.316	9.0	12.30	-1.19
الجبل الأسود	644.578	12.2	10.40	0.0
أسيا الغربية				
قربص	1.189.197	10.70	6.90	1.65
فلسطين	4.976.684	30.90	3.50	2.82
لبنان	6.229.794	15.19	14.56	-
سوريا	18.270.000	-	-	-
تركيا	81.257.239	4.90	4.90	1.25
إفريقيا الشمالية				
المغرب	35.986.655	18.80	4.90	1.25
الجزائر	41.320.000	24.39	4.50	1.90
تونس	11.134.588	20.00	5.90	1.25
ليبيا	6.375.000	17.80	3.60	1.78
مصر	97.444.876	30.3	4.7	2.51

إذا استمرت السلوكيات الحالية، فإنه تكفي 18 سنة لكي تتضاعف ساكنة الأراضي الفلسطينية، وعلى العكس فإن مدة تضاعف عدد السكان في إسبانيا تمتد إلى 7000سنة، وهذا لم يعد له معنى بالنسبة لإيطاليا واليونان وكرواتيا وألبانيا التي تعرف هجرة جد قوية

ونموا ديمغرافيا سلبيا، ويمكن القول أن الفوارق بين الضفة الشمالية والضفة الجنوبية والشرقية ستستمر لفترة من الزمن.

تتميز دول الواجهة الأوروبية للبحر المتوسط (باستثناء ألبانيا)، وجزيرتي مالطا وقبرص بشكل واضح عن الدول الأخرى الجنوبية والشرقية. يسمح انخفاض مختلف المؤشرات في هذه الدول الأخيرة (الجنوبية والشرقية) بتقارب كل من تركيا (1.47%) وتونس (1.25%)، والمغرب (1.25)، والنمو الطبيعي لهذه الدول - على الرغم من كونه لا يزال مرتفعا- هو أقل من المعدل في الدول النامية (1.7%)، وهو على العكس يظل جد مرتفع في الجزائر وليبيا (1.90% و 1.78%)، ومع ذلك يظل أقل من الأراضي الفلسطينية.

كيف تفسر هذه الاختلافات؟

ترتبط هذه الاختلافات بالفارق الزمني في دخول كل دولة مرحلة الانتقال الديمغرافي[1]، ذلك أن العصرنة والتنمية - التي تسببت في مرحلة أولى في الانفجار الديمغرافي- تؤدي بشكل أكثر أو أقل سرعة في مرحلة ثانية إلى تحولات تُوقِفُها، ويلاحظ أن عددا من الدول المسلمة المتوسطية أخرت المرور إلى المرحلة الثانية بالتقاعس عن اتخاذ الإجراءات الضرورية للتقليل من الولادات، وقد سمح ذلك بأن يستمر النمو بشكل قوي: هكذا انتقلت ساكنة غزة بين سنتي 1950 و 2000 من أقل من 240.000 نسمة إلى أكثر من 1.100.000 مليون نسمة، أي أن عدد السكان تضاعف بأكثر من 4.5 مرات، وانتقلت ساكنة الجزائر من 8.7 مليون نسمة إلى 31.5 مليون نسمة، أي أنها تضاعفت بأكثر من

1- نعني بالانتقال الديمغرافي المرور من نظام تقليدي حيث الوفيات والخصوبة الطبيعية مرتفعة إلى نظام ديمغرافي عصري حيث الوفيات والولادات منخفضة. إن جميع الدول معنية بهذه الظاهرة ، وقد بدأ المسلسل في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر، وانتقل إلى بقية دول العالم في الخمسينات من القرن الماضي، وهو يتم على مرحلتين:
- في المرحلة الأولى - التي انتهت في معظم الدول- تتراجع الوفيات فقط بينما تظل الولادات مرتفعة في مستوى قريب من الحد الأقصى الطبيعي، ويصبح النمو سريعا؛
- وفي المرحلة الثانية، فإن التحول يخص أيضا الخصوبة، يقل خلالها معدل الولادات ويقترب من عدل الوفيات ويتراجع النمو إلى أن يختفي، ويمتد هذا الانتقال على مرحلة تختلف من دولة لأخرى: فقد كان بطيئا في الدول الأوروبية الأولى المعنية بالظاهرة ، ولكن يظهر بأنه جد سريع في الدول التي عرفت الظاهرة حديثا. في الحالة الأولى امتد النمو على قرن أو أكثر وكان معتدلا، ولكن في الحالة الثانية فإنه لم يدم سوى بضع عشريات ولكنها تكتسي في معظم الأحيان خاصية مفرطة.

3.5 مرات، وهذه الزيادة ترتبط بشكل كبير بالنمو الطبيعي. ومع اقتراب سنة 2000، بدأت المعدلات تتراجع في هذه الدول، ومع ذلك حافظ قطاع غزة على أعلى معدل عالميا (3.3% في السنة حسب سنة 2016)

3-2- الدول ذات النمو السريع

عرفت ساكنة مصر تطورا ملحوظا، ذلك أن الانتقال الديمغرافي بدأ فيها قبل دول جنوب البحر الأبيض المتوسط وشرقه، واستمر لمدة أطول في الزمن، أما معدل نموها الطبيعي فلم يتعدَّ أبدا 3%، ولكن لم يتغير منذ سنة 1950 (2.5%)، وقد سمح تضاعف عدد السكان بمصر منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين بأن تصبح مصر الدولة الأكثر سكانا بحوض البحر الأبيض المتوسط، أكثر من تركيا: ذلك أن تركيا- التي كان عدد سكانها سنة 1950 يشبه تقريبا عدد سكان مصر (21.238495 نسمة[1]، مقابل 20.897.237 نسمة بالنسبة لمصر)[2] - عرفت تراجعا في نمو ساكنتها قبل مصر (2% في بداية التسعينات، و1.25% سنة 2017)[3]. وتقدم ساكنة كل من تونس والمغرب خصائص تطور قريبة من تلك التي تعرفها تركيا (1.25% بالنسبة للمغرب، و 1.1% بالنسبة لتونس سنة 2017). أما ألبانيا فقد ظلت لمدة طويلة بعيدة عن التطور الذي عرفته الدول المجاورة على الرغم من كونها أوروبية، ذلك أنها حافظت طيلة حكم الاشتراكيين على معدلات نمو ديمغرافي بمستوى 3% / السنة إلى بداية السبعينات من القرن الماضي، وأكثر من 2% إلى نهاية الثمانينات. ومنذ ذلك الوقت، انخفضت الخصوبة بهذا البلد، كما نشطت الهجرة إلى الخارج، خاصة إلى إيطاليا واليونان وكندا والولايات المتحدة الأمريكية، مما جعل ألبانيا تفقد ¼ ساكنتها. وفي سنة 2017، انخفض عدد سكان البلاد إلى

[1] - https: //www.populationpyramid.net>….
Population de Turquie 1950- populationpyramid.net
[2] - https: //www.populationpyramid.net>…..
[3] - https:// fr.m.wikipedia.org. Démographie de la Turquie- wikipédia

2.873.457 نسمة بعد أن كان 3.286.542 نسمة سنة 1990[1]، وأصبحت الزيادة الطبيعية سلبية (0.22-%).

3-3- الدول بدون نمو أو ذات النمو الضعيف

نفهم بشكل أفضل الاختلافات في معدلات النمو الديمغرافي بمجرد ما يتم تقريب التطور الديمغرافي لدول الضفة الشرقية والجنوبية من التطور الديمغرافي لدول الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط: ففي سنة 1950، كانت ساكنة جميع الدول الأوروبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط تفوق بأكثر من مرتين ساكنة الدول الجنوبية والشرقية (حوالي 150 مليون نسمة مقابل 72 مليون نسمة)، وفي سنتي 2016 و 2017 ارتفع العدد في الضفة الجنوبية والشرقية (193.180.153 مقابل 221.737.597)، قد لا يتغير الرقم الأول أبدا، وقد يقل خلال العشريات القادمة بينما الرقم الثاني سيستمر في الزيادة باعتبار أن معدلات النمو الديمغرافي ستتطلب وقتا لتنخفض. إن تفسير هذا التحول بسيط جدا: ففي ظرف 50 سنة، أي من السنة 1950 إلى سنة 2000، تضاعفت ساكنة دول أوروبا المتوسطية ب 1,35 مرة مع فوارق جد بسيطة: 1,2 مرة بالنسبة لإيطاليا مقابل 3,3مرات بالنسبة لبقية الدول المتوسطية : فإيطاليا وفرنسا وإسبانيا - التي كانت تشكل القوة الاستعمارية المتوسطية- كانت الأكثر سكانا سنة 1950، مع على التوالي 47 مليون نسمة، و 42 مليون نسمة، و 28 مليون نسمة. حاليا تتقدم فرنسا قليلا على إيطاليا، ولكن تسبقها مصر وتركيا. أما إسبانيا فقد تتعداها الجزائر في المستقبل.

تتعلق الاختلافات بين دول الضفة الشمالية ودول الضفة الجنوبية بالفترة التي تقضيها كل دولة في إنهاء الانتقال الديمغرافي: ذلك أن الدول الأوروبية أنهت إلى حد ما الانتقال الديمغرافي عندما بدأ في الدول المتوسطية الأخرى، إلا أن طفرة المواليد التي عرفتها في نهاية الستينات من القرن الماضي Le baby boom أخفت لِعُشَرِيَّتَيْن هذا التطور. وهكذا

[1]- perspective. usherbrooke.ca> ALB.
Albaine- population totale I statistiques perspective Monde.

انتقلت معدلات النمو من 0,5 % إلى 1% في السبعينات، ثم رجعت إلى وضعيتها السابقة. أما ساكنة قبرص ومالطا - التي كانت قريبة في البداية من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا- فإنها عرفت في العشريات الأخيرة نفس التطور الذي عرفته بقية الدول الأوروبية المتوسطية. وتعتبر فرنسا حالة خاصة مع دوما فائض في الولادات بالنسبة للوفيات بمعدل 0.3% ، ولكن فقط بفضل الولادات التي تتم في جزئها الشمالي، ونقف على حالة كرواتيا التي عرفت تراجعا ديمغارافيا كبيرا بفعل هجرة مستمرة وقوية - في بعض الأحيان- للسكان نحو أوروبا والأمريكتين وغيرها، بالإضافة إلى الحربين العالميتين، وتأثر بنية المجتمع كثيرا، خاصة الأجيال القادرة على الإنجاب، بحرب التحرير الوطنية في التسعينات من القرن الماضي، وأًصبح البلد يعاني بشكل كبير جدا من ارتفاع معدل الوفيات مقارنة بالولادات التي انخفضت هي الأخرى منذ سنة 1950، كما يعاني من انخفاض معدل الخصوبة والهجرة، مما يفسر معدل النمو الطبيعي السلبي.

أدى التراجع القوي للوفيات والولادات في هذه الفئة من الدول إلى نتائج سلبية تتجلى في تراجع نسبة ساكنتها الشابة النشيطة، وكذا القادرة على الإنجاب، بالإضافة إلى ارتفاع عبء الميزانية التي يمثلها التقاعد بالنسبة للدول، وإشكالية الحماية الطبية والاجتماعية للفئات المسنة (65 فما فوق) التي ارتفعت نسبتها بشكل كبير، بحيث بلغت 22.60% في كل من فرنسا وإيطاليا بينما لا تتعدى 8.3% في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، بل إن خمسة دول في بها تسجل أعلى أمد حياة (أكثر من 80 سنة)، وهي إيطاليا وفرنسا وإسبانيا واليونان ومالطا.

أوروبا	نسبة الأكثر من 65 سنة (%)	نسبة الأقل من 15 سنة (%)	أمد الحياة (سنة)	توقعات عددالسكان 2050

فرنسا	22,60	13,40	82	72,1
إيطاليا	22,6	13,40	82,3	57,65
إسبانيا	17,85	15,43	81,7	44,3
اليونان	20,91	13,85	80,7	10
البوسنة والهرسك	14,83	13,29	76,9	3,1
ألبانيا	11,89	18,05	78,5	2,71
سلوفينيا	19,51	13,32	78,3	1,94
مالطا	18,5	15,05	80,6	0,4
كرواتيا	18,23	14,42	76,6	3,5
الجبل الأسود	14,76	15,13	76,6	0,57
أسيا الغربية				
قبرص	11,51	15,61	82,05	1,4
فلسطين	-	38,9	72	9,7
لبنان	6,78	24,09	77,8	5,3
سوريا	-	-	74,9	-
تركيا	7,53	24,68	75	93,3
إفريقيا الشمالية				
المغرب	6,4	26,4	76,7	42,2
الجزائر	5,65	29,31	76,8	60,3
تونس	8,2	23,02	76,7	13,1
ليبيا	-	-	72,4	8,4
مصر	4,3	33	72	146

جدول رقم 3: مؤشرات ديمغرافية عن دول حوض البحر الأبيض المتوسط

تطرح المشاكل بشكل مختلف بالنسبة للدول الجنوبية والشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط، إذ عليها أن تهتم بتدبير حضور نسبة هامة للفئة الأقل من 15 سنة، وذلك بتوفير مختلف الخدمات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، وكذا الشغل للفئات النشيطة.

- تعمق الاختلافات بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط في أفق 2050

يرتقب أن تتعمق الاختلافات بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط: لقد بلغ عدد سكان أوروبا المتوسطية بدون شك ذروته، ولا يرتقب أي مصدر ديمغرافي دولي كبير أن يزداد في العشريات القادمة، ويظهر أن فرنسا وجزيرتي مالطا وقبرص هي الدول الوحيدة التي يرتقب أن تعرف تطورا إيجابيا في أفق 2050(انظر الجدول رقم 3)، وعلى الضفة الشرقية والجنوبية فإن الأمر سيختلف، إذ ترتقب المنظمات الدولية أن تحقق الدول، باستثناء لبنان، نتائج إيجابية وجد مرتفعة في أفق 2050 : 146 مليون نسمة في مصر؛ و 62 مليون نسمة في الجزائر؛ وتقريبا 10 مليون نسمة في فلسطين.

تسمح هذه التوقعات بفهم مدى ارتباط أعداد السكان بسرعة وتاريخ تراجع الخصوبة، ويتوقع أن يحدث تباطؤ واضح للتزايد الطبيعي في الثلاثين سنة القادمة في تركيا وتونس والمغرب، وأكثر في لبنان، ولكن يجب أن ننتظر عدة عشريات قبل أن نلاحظ هذه الظاهرة في مصر، والجزائر، وليبيا، وغزة. ستسجل دول البحر الأبيض المتوسط الجنوبية والشرقية - في هذا السياق الأكثر ملائمة للنمو- 84 مليون نسمة إضافية بين سنتي 2020 و 2050، وذلك حسب توقعات الأمم المتحدة.

4- التيارات الهجرية بحوض البحر الأبيض المتوسط

إن البحر الأبيض المتوسط هو "فضاء للحركة" حسب التعبير الذي لا نزال نتداوله لِـ Fernand BRAUDEL[1] . يشير F. BRAUDEL في هذه المقولة إلى استمرارية تلاحم واختلاط السكان، وأشكال ترتبط بموضوعين وهما العمل والفقر من جهة، والخوف من جهة أخرى.

4-1- الهجرات القديمة من أجل العمل

تجيب الهجرات من أجل العمل لمنطق العمل القائم على عدم التوازن بين السكان والموارد الغذائية أو بين الطلب والعرض في سوق الشغل[2]، ويضاف إلى ذلك حلم الاغتناء في دول الاستقبال، وتحويل الأموال إلى بلدان المغادرة.

يصعب كثيرا التمييز بين هجرة العمل والهجرات القسرية، وهي حالة هجرة السوريين بعد الأزمة التي عرفها هذا البلد، وتضاف إليها هجرات اليد العاملة الإسبانية والإيطالية خلال عهد الديكتاتوريات (الفاشية في إيطاليا من 1922 إلى 1943، ونظام فرانكو أو الفرانكوية في إسبانيا من 1939 إلى 1975.

يسمح التسلسل الزمني لحركات الهجرة في البحر الأبيض المتوسط بالتمييز بين الضفتين: توافق الحركات الأقدم - التي توقفت تقريبا منذ الثمانينات من القرن الماضي- الضفة الشمالية، وتهم بالخصوص إيطاليا- البلد الذي هاجر منه حوالي 25 مليون إيطالي ما بين سنة 1875 و 1975، وقد كانت هذه الحركة تخص إيطاليا بكاملها قبل أن تعرف المنطقة الشمالية تنمية ساهمت في تقليص الهجرة. وعلى المستوى الدولي فإن حصيلة هذه الهجرة مدهشة بما أن 840.000 شخص في الأرجنتين أعلنوا سنة 1960 بأنهم من أصل إيطالي، مقابل 378.000 في سويسرا ، و 550.000 في ألمانيا، و 840.000 في الولايات

[1]- BRAUDEL F., 1985, la Méditerranée, l'espace et l'histoire, Flammarion, Paris.
[2]- GILDA S., 1995, Géodynamique des migrations internationales dans le monde, PUF, Paris.

المتحدة الأمريكية، وفقط 250.000 في فرنسا حيث استُقْبِلَ الإيطاليون بشكل سيء لدرجة أنهم كانوا ضحايا مذابح مُنَظّمَة لأسباب عنصرية، وكانت إحداها عملية ذبح 8 إيطاليين جنوب فرنسا سنة 1893، وجرح خمسين شخصا- وقد أدى تحسن اقتصاد إيطاليا والضغط الديموغرافي بهذا البلد إلى تراجع الهجرة منذ عشريات، بحيث كان عدد المغادرين 200.000 سنة 1960 وفقط 50.000 مهاجر سنة 1989، وهي السنة حيث تعدى عدد العائدين عدد المغادرين، ويتميز الإيطاليون بقدرة كبيرة على الاندماج في دول الاستقبال. أما الهجرة الإسبانية فظهرت بعد الهجرة الإيطالية، وتمت بالخصوص في اتجاه أمريكا الجنوبية (375.000 مهاجر في الأرجنتين، و 120.000 في المكسيك، و 80.000 في الأوروكواي شمال شرق الأرجنتين)، ولكن الإسبانيين يوجدون أيضا في البرازيل (230.000)، وفي الولايات المتحدة الأمريكية (103.000)، ومن جهتها استقبلت فرنسا 496.000 إسباني (إحصاء 1975)، ويشكل الإسبانيون 1/4 ساكنة اللوكسومبورغ. وكما هو الحال بالنسبة لإيطاليا، فقد أصبحت إسبانيا في بضع سنوات دولة استقبال بالنسبة للمهاجرين من الضفة الجنوبية للبحر المتوسط.

بعد توقف الهجرة من إسبانيا وإيطاليا في اتجاه أوروبا الشمالية، انطلقت الهجرة من شبه جزيرة البلقان مع ثلاث مكونات هامة: يوغوسلافيا سابقا، واليونان، وألبانيا، وقد اتجه اليوغوسلافيون بالأساس نحو ألمانيا، بحيث تم إحصاء 2.5 مليون عامل ما بين سنتي 1950 و 1990، ويتميزون بكونهم تكونوا في يوغوسلافيا قبل أن تَجْذِبَهم الأجور المرتفعة في ألمانيا، خاصة في صناعة السيارات. أما البوسنيون فيصعب تقييم عددهم في فرنسا بسبب عدم استقرارهم: ففي سنة 1995 تم إحصاء 6000 بوسني لهم صفة لاجئ سياسي، بينما الألبانيون وضعهم يختلف، ذلك أن بلدهم ظل منغلقا لمدة طويلة وانفتح فجأة في ظروف غير جيدة، ومن تم عرف تيارا هجريا كبيرا لشعب يرميه المُهَرِّبون على الساحل الإيطالي، ولا تعتبر إيطاليا بالنسبة لهؤلاء سوى مكان للعبور نحو مستقبل غير واضح، في ألمانيا على وجه الخصوص، وإلى جانب هذه المسالك البلقانية، نشير إلى هجرة الأتراك التي تتم بشكل كبير نحو ألمانيا، حيث انتقل عددهم من 100.000 عامل سنة 1960 إلى

حوالي 2.000.000 عامل سنة 1995، وتأتي بعد ألمانيا كل من فرنسا وهولاندا وبلجيكا والدانمارك، وخارج أوربا وضع الأتراك عدة مسالك حيث الأكثر دينامية يهم أستراليا حيث يعمل مسبقا 100.000 تركي، ويظهر أن الاقتصاد التركي غير قادر على امتصاص جميع الباحثين عن عمل كل سنة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لن تتوقف هذه الهجرة بما أن مشكل اللجوء السياسي للأكراد قائما.

4-2- الهجرات الجديدة للعمل

تنتمي أكبر وأقدم التيارات الهجرية من الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط نحو فرنسا لبلدان المغرب العربي، وتعتبر الهجرة كنتيجة للنظام الاستعماري[1]، وقد تم المجيء بالعمال من منطقة القبائل[2] إلى فرنسا سنة 1905 لمواجهة مطالب العمال الإيطاليين بالزيادة في الأجور، وبعد ذلك تم جلب ما يزيد عن 100.000 شخص من إفريقيا الشمالية لتعويض النقص في القوى العاملة خلال الحرب العالمية الأولى، ثم امتدت الظاهرة في تونس والمغرب، ولكن كان الأمر يتعلق بهجرات مؤقتة، ولم يكن يستقر في فرنسا سنة 1950 سوى 50.000 مغاربي، وقد ازداد الطلب على اليد العاملة ابتداء من هذا التاريخ بفعل التنمية التي عرفتها فرنسا لإعادة بناء ما دمرته الحرب. وفي سنة 1962، بلغ عدد الجزائريين بفرنسا - بما فيهم 150.000 "حركي"[3] الذين تم نقلهم من الجزائر وإعطاؤهم الجنسية الفرنسية - 500.000. ومع تطبيق الحق في التجمع العائلي، استمر عدد المهاجرين بفرنسا في التزايد إلى أن تراجع ابتداء من سنة 1974 مع توقيف الهجرة الرسمية.

---

[1]- GILDAS S., op. Cit.

[2]- القبايل هي منطقة تقع غرب الجزائر العاصمة، وهي أرض جبلية بها ساكنة هامة وتحيط بها سهول ساحلية في الغرب والشرق، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب الهضاب العليا.

3 – الحركيون هم جزائريون اختاروا القتال ضمن الجيش الفرنسي ضد الثوار الجزائريين خلال حرب التحرير الجزائري من سنة 1954 إلى سنة 1962، وبعد نهاية الحرب وعقد اتفاقية إيفيان سنة 1962، غادر ما يقارب 60 ألف منهم الجزائر رفقة الجيش الفرنسي والأقدام السود خوفا عمليات انتقامية، بينما بقي في الجزائر نحو 70 ألف آخرين حسب تقديرات بعض المؤرخين.

تعرض الهجرة المتوسطية حاليا تشكيلة جديدة: فقد ارتفع عدد المهاجرين المغاربيين، كما اتسع مجال دول الاستقبال في أوروبا: فبعد فرنسا - حيث ارتفع عددهم إلى 4.6 مليون مهاجر سنة 2016، ضمنهم 600.000 من جنسية مغربية- نجد بلجيكا بِ 225.000 سنة 2011، وهولندا ب 476376 مغاربي حيث 98.2% من أصل مغربي. وتعتبر باريس، بما فيها الضاحية، أكبر مدينة في العالم على مستوى عدد المغاربيين، ويعيش هؤلاء في الدول الجنوبية للاتحاد الأوربي في معظم الأحيان على شكل مجموعات منظمة ومجتمعة حول تجارات، وتغذيها مسالك تسمح بتجميع الأشخاص الذين ينتمون لنفس الأقاليم في بعض دول الاستقبال، بل أحيانا في نفس المقاولات.

يعمل المهاجرون في الخارج على خلق تيارات مالية جد هامة، بحيث تعتبر مصر ثاني دولة في العالم بعد الهند على مستوى استقبال التحويلات المالية من الخارج، والأولى على مستوى دول شمال إفريقيا والشرق الأوسط ب 20 مليار دولار سنة 2017، وقد أصبحت هذه التحويلات إحدى المصادر الرئيسية للعملة الصعبة، ذلك أن مصر تعاني من صعوبات في زيادة حجم الصادرات رغم إصلاحات اقتصادية واجتماعية تمت انطلاقا من اقتراض 12 مليار دولار من صندوق النقد الدولي، ومن ضمن هذه الإصلاحات الزيادة في ضريبة القيمة المضافة (La TVA)، وخفض الدعم بالنسبة للموارد الطاقية[1]. أما المغرب فيصنف في المرتبة الثالثة بعد لبنان ب 7.5 مليار دولار سنة 2017، ما يوافق 72.090.525.000 درهم، ومع ذلك فإن هذا الرقم هو أضعف من الحقيقة، ذلك أن هناك مدفوعات لا يتم حسابها (هدايا، نقل الأموال بطريقة غير قانونية ... إلخ).

تسهم تحويلات الجالية المغربية بالخارج في تحسين الوضع الاقتصادي للمغرب: فقد مثلث ثاني مصدر للعملة الصعبة، وسمحت بتغطية 64 % من العجز التجاري لسنة 2017، كما سمحت بدفع قسط من الفاتورة الطاقية، وهي شاهد على التضامن الكبير بين المهاجرين المغاربة وعائلاتهم، إذ أنها تشكل مصدرا هاما ونسبيا مستقرا للدخل بالنسبة لعدد كبير من

[1] - https:// www.conomic.research.bnpparibas.com>….
Egypte- Etudes Economiques- BNP- Paribas.

الأسر. وتستفيد المناطق القروية بنسبة 30 إلى 40% من هذه التحويلات حيث تخصص للتغذية والسكن واللباس والصحة والتعليم. وعلى مستوى الاستثمار، يظهر أن الجالية المغربية المقيمة بالخارج تسهم في خلق الثروات والأعمال، ويمثل العقار القطاع الرئيسي لاستثمار المغاربة المقيمين بالخارج، مما يجسد حجم التعلق بالبلد الأصل، إلا أن هذا النوع من المشاريع – كما هو الحال بالنسبة لبقية المشاريع الأخرى كالتجارة البسيطة مثلا- يخلق مناصب شغل وقيمة مضافة ضعيفة، مما يفرض مرافقة هذه الفئة من المستثمرين من أجل استغلال جيد لأموالهم.

تتلقى بقية دول المغرب العربي هي الأخرى تحويلات مالية حيث الأهمية تُفَسِّر انتشار البنايات في بعض المراكز الصغرى في منطقة القبايل في الجزائر، ومنطقة القيروان في تونس، وأحيانا يعود بعض المهاجرين بتكوين لا بأس به في التجارة أو المهن التي تسمح بالقيام بمبادرات مقاولاتية ترتبط بالبناء أو النسيج والخياطة.

استفادت عدد كبير من المناطق بحوض البحر الأبيض المتوسط من عائدات المهاجرين، لكن حاليا يرى عدد كبير من الباحثين أن علاقات المهاجرين مع البلدان الأصل بدأت تتلاشى بالنسبة لعدد من الجنسيات لأسباب كثيرة كقدم الهجرة وتراجع العلاقة مع الأهل (الجزائريون والإسبانيون والإيطاليون)، والتعود على الحياة في بلدان الاستقبال، وتقدم الأطفال في السن، الشيء الذي يجعلهم يرفضون الذهاب إلى مواطن آبائهم حتى في العطلة الصيفية، وغير ذلك من الأسباب.

3-4- التيارات الهجرية في اتجاه الشرق الأوسط

يعتبر الشرق الأوسط وجهة جديدة للهجرة نظرا للتنمية التي تعرفها بعض الدول المنتجة للبترول (السعودية، قطر، البحرين، الإمارات العربية والكويت)، ويلاحظ أن التيارات الهجرية تتأثر كثيرا بالتوترات السياسية التي عرفتها أو تعرفها المنطقة (حرب

الخليج الأولى[1] والثانية[2])، و في هذا السياق نشير إلى عملية الطرد الكبيرة التي تعرض لها الفلسطينيون من قبل دولة الكويت بعد دعمهم لقوات الاحتلال العراقية، وكان عددهم 400.000 وأصبح 50.000.

يمثل المهاجرون 90% من ساكنة الإمارات العربية المتحدة[3]، و50 % من ساكنة المملكة العربية السعودية، وحاليا فإن المكون المتوسطي الأكثر أهمية في المملكة العربية السعودية هو مصري بما يزيد عن 1.5 مليون شخص، وتحويلات مالية تقدر ب 13.3 مليار دولار سنة 2016-2017. أما اللبنانيون في الخارج فبلغ عددهم تقريبا 13 مليون شخصا في 70 دولة، وتتركز أكبر جالية لبنانية بالخارج(6 مليون لبناني) في البرازيل، وتوجد جالية لبنانية هامة أيضا في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأستراليا، وفي فرنسا[4]، وتعتبر ساحل العاج الدولة الإفريقية التي تستقبل أكبر عدد من اللبنانيين ب 60.000 لبناني، ويتركز اللبنانيون المسيحيون بالأخص في الأمريكيتين وفي أوربا الغربية، أما اللبنانيون المسلمون، السنة على وجه الخصوص، فيستقرون في دول الخليج، وتمثل الهجرة اللبنانية ظاهرة خاصة في الشرق الأوسط بما أن عدد اللاجئين كبير مع تخصص في التجارة والمهن الحرة، ولكن يتعلق الأمر أيضا بهجرة انتقائية بما أنها تخص بشكل شبه حصري الطائفة المسيحية، بينما الطلب على اليد العاملة - الذي فرضته إعادة

[1]- حرب الخليج الأولى: نزاع عارض، من 2 غشت 1990 إلى 28 فبراير سنة 1991، العراق مع تحالف مكون من 35 دولة ترأسته الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بعد هجوم العراق وإلحاق الكويت، وترجع الأسباب الخفية لهذه الحرب لكون الشرق الأوسط منطقة استراتيجية هامة بالنسبة للدول الغربية لأنها أول منتجة للبترول في العالم.

[2]- حرب الخليج الثانية: حرب بدأت رسميا في 2003 مع اجتياح العراق من طرف قوات التحالف التي تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد حزب البعث الذي يترأسه صدام حسين، وقد جاءت بعد إعلان جورج بوش بان له الأدلة (وهذا ليس حقيقي) التي تثبت بان صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل، وأنه يرتبط بحركة القاعدة . وهكذا انقسم العالم حول اللجوء إلى القوة ضد العراق: كانت الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا لصالح الحرب بينما الفرنسيون والروس والألمان كانوا يفضلون حلا دبلوماسيا. وفي فبراير 2003، نظمت مظاهرات في العالم بأسره ضد الحرب. وفي 19 مارس 2003، اجتاحت القوات الأمريكية وحلفاؤها العراق بدون دعم المجموعة الدولية، وانهارت القوات العراقية أمام القوات الأمريكية، وتم دخول بغداد. وفي 15 أبريل 2003، أعلن جورج بوش الانتصار على العراق، وتوقفت الحرب.
لم يكن احتلال العراق مسألة سهلة بالنسبة للقوات المهاجمة، فقد اندلعت فضائح مثل ممارسة التعذيب في سجن أبو غريب، وفي نهاية 2011 انسحبت القوات الأمريكية من العرق.

[3]- مع احتجاز المهاجرين الذين ينحدرون من آسيا الشرقية والفلبيين والهند.

[4] -NAAMAN A., 2004, Histoire des orientaux en France du 1er au 20ème siècle, Ellipses, Paris.

بناء بيروت- أدى محليا إلى تدفق يد عاملة مسلمة سورية وفلسطينية أصبحت تمثل 30% من الساكنة الكلية للبنان، و 40% من ساكنة بيروت.

يؤدي عدم الاستقرار السياسي إلى التساؤل عن الفوائد المفترضة للهجرة[1]: ففيما يخص مصر، يلاحظ أن إيرادات المهاجرين تشكل أول مصدر للعملة الصعبة أمام السياحة (9.8 مليار دولار سنة 2017-2018)[2]، وقناة السويس (5.58 مليار دولار في نفس السنة)[3] . ولكن هذه الكتلة النقدية تظل رهينة بالتقلبات السياسية التي تَعَوَّدَ عليها الشرق الأوسط، ويوضح تحليل الخصائص السوسيومهنية للمهاجرين عدم توازن آخر: ذلك أن الأطر المصرية والمهندسين والأطباء والأساتذة والتجار عددهم أكبر من أصحاب المهن البسيطة وغير المؤهلين بشكل يجعل "مصر لا تصدر بِطالتها ولكن قواتها الحية". وفي الأخير فإن مصر تُمَوِّل تكوين الأطر حيث الكفاءات تستفيد منها دول أجنبية غنية تتفادى بهذه الطريقة تكاليف التكوين والتكاليف الاجتماعية بما أن كل عامل مريض يتم إرجاعه إلى البلد الأصل. وهناك عامل عدم توازن آخر، ويتعلق الأمر بالأموال التي يتم استثمارها في البلد الأصل، إذ غالبا ما تُوَجه للبناء في المدن الكبرى، مما يفسر انعدام التوازن الحاصل بين هذه المدن والمدن المصرية الأخرى، ومن جهة أخرى فإن الاستثمار في القطاع الإنتاجي يظل ضعيفا ، وهي ظاهرة تنطبق على بقية الدول المصدرة لليد العالة والكفاءات.

[1]-BOURGEY A., 1997, « Réflexions sur les flux migratoires au Moyen - Orient » , Espaces, Populations, Sociétés, pp 27- 34.

[2] -le 360.ma

Egypte : les recettes touristiques ont atteint 12,6 milliard de dollars.

[3] - https: //www.agenceecofin.com> 180…

Economie: Egypte: revenus records du Canal de Suez durant l'exercice 2017-2018, à 5,58 milliard de dollars.

خاتمة

اعتبر حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة طويلة قلب العالم لاحتضانه أقدم الحضارات الإنسانية، وحاليا يعتبر مجال تفاوتات عديدة ديمغرافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وتحاول دوله خلق نوع من التعاون لمواجهة التحديات العالمية. إلا أن نجاح هذا التعاون يرتهن بما هو سياسي لأن الاقتصاد غير كاف لإحداث توازن على مستوى الحوض، كما يرتهن بالاستقرار السياسي لدوله، ذلك أن عددا من دول الحوض الجنوبية تعاني من مشاكل كثيرة.

المراجع باللغة العربية:

- إبراهيم محمد حسن، 1999، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر.

- الجوهري يسرى،1984، جغرافية حوض البحر الأبيض المتوسط، منشأة معارف الإسكندرية، مصر.

Références Bibliographiques

- BALTA P., 2000, Méditerranée. Défis et enjeux, L'Harmattan, Paris.

- BEN HAYOUN G., GAUSSIER N., PLANQUE B., 1999, Economie des régions méditerranéennes et développement durable, L'Harmattan, -Paris.

- BETHEMONT J.(coord.), 2001, Le monde méditerranéen, thèmes et problèmes géographiques, Dossiers des Images Economiques du Monde, éd. SEDES, 3ème édition, Paris .

- BETHEMONT J., 2008, Géographie de la Méditerranée : du mythe unitaire à l'espace fragmenté, A. Colin, collection U, Paris.

- BORNE D. & SCHEIBLING J. (dir.), 2002, la Méditerranée, éd. Hachette Education, Paris.

- BRAUDEL F., 1985, La Méditerranée, l'espace et l'histoire, Flammarion, Paris.

- CARPENTIER J.-L. & GHASSARD - BOUCHAUD C., 1998, L'environnement de la Méditerranée, PUF, coll. « Que Sais- Je ? », Paris.

- CHALINE C., 1996, Les villes du monde arabe, Armand Colin, Paris.

- DURAND DASTES F. & MUTIN G., 1999, L'Afrique du Nord, le Moyen – Orient, le Monde indien, in la Géographie Universelle, éd. Belin, Paris.

- LACOSTE Y., 2006, Géopolitique de la Méditerranée, Armand Colin, Paris.

- LIEUTAUD J., (dir.), 2001, Une mer entre trois continents : la Méditerranée, Ellipses, Paris.

- MORINIAUX V. (dir.), 2001, la Méditerranée, éd. du Temps, Paris.

- MUTIN G., 2001, L'eau dans le monde arabe, Ellipses, Paris.

- PRENANT G., SEMMOUD B., 1997, Maghreb et Moyen- Orient, Ellipses, Paris.

- RAHMOUNI BENHIDA B. & SLAOUI Y., 2013, Géopolitique de la Méditerranée, PUF, collection « Que Sais-Je ? » 1ère édition, Paris.

- TROIN J.- F., 1997, Les métropoles de la Méditerranée, villes charnières, villes frontières, Edisud , Alif ,Tunis.

- TROIN J.-F. (dir.), 1999, Maghreb, Moyen –Orient, mutations, SEDES, Paris.

- WACKERMANN G. (dir.), 2001, Un carrefour mondial : la Méditerranée, Ellipses, Paris.

Revues :

- ABIS S., 2006, « Les dynamiques démographiques en Méditerranée », les notes d'analyses de CIHEAM n° 11, CIHEAM.

- ATTANE I. & COURBAGE Y, 2001, « La démographie en Méditerranée, Situation et Projections », Economica (les fascicules du PLAN BLEU, n° 11).

- BURGET G. (coord.), 1978, « Capitales et métropoles méditerranéennes, Villes en parallèles, Paris.

- COURBAGE Y, 1997, « La démographie en rive sud de la Méditerranée au XXI^{ème} siècle, changement et perspective », Population, Sociétés, p.p. 11-26

- DEPREST F. 2001, « L'invention géographique de la Méditerranée : éléments de réflexion », l'Espace Géographique, n° 1, éd. Belin, France.

- LACOSTE Y., « la Méditerranée », Hérodote n° 103, 4ème trimestre, éd. La Découverte, France.

- NICOLET C. (coord.), 1999, Mégalopoles méditerranéennes, géographie urbaine rétrospective, Maisonneuve & Larose, Paris.